القصة الأولى:

شجرة الخوخ

الطفل يوسف

توجَدُ في الدنيا أسماءُ كثيرةٌ وناسٌ كثيرونَ،

ويوجد طفلٌ اسمه يوسفُ،

كان ولداً محبوباً جداً،

عيناه جميلتانِ مثلَ حبتي خَرَزٍ لامعتينِ،

وكلماتهُ شفافةٌ كالبلَّورِ،

وشَعْرُهُ مسترسل جميل ،

وأسنانُهُ مثلُ حباتِ اللؤلُؤِ.

كان يوسفُ يجلسُ على حجرةِ الرصيفِ أمامَ منزلهمْ، ويتأملُ الغاديَ والرائحَ،

يقرأُ خلالَ ذلكَ كتابَ (الألِفِ باءْ).

أبو يوسفَ تاجرٌ في السوقِ،

كلَّ مساءٍ عندما يعودُ إلى البيتِ يُحْضرُ له سُكَّراً ملوناً، وفستقاً، وتيناً.

يوسف يحب الخوخ

في يومٍ منْ أيامِ الصيفِ،

وكان الخوخُ قدْ نضجَ،

رجعَ أبو يوسفَ إلى البيتِ وقدْ ملأ سلتهُ بالخوخِ، وأثناءَ دخولهِ أعطى يوسفَ منها.

يوسفُ أحبَّ جداً هذا الخوخَ، وطلبَه من أبيهِ مرةً أخرى!

فقال لهُ أبوه:

يا ولدي! يا صغيري يوسفُ! إذا زرعتَ بذرةَ هذا الخوخِ في البستانِ، فَسَوْفَ تعطيكَ هذه البذرةُ آلافاً من الخوخِ.

في داخلِ هذه البذرةِ تكمنُ خوخاتٌ كثيرةٌ، وتوجدُ شجرةُ الخوخِ الكبيرةِ!

يوسفُ لم يفهمِ الهدفَ منْ هذا الكلامِ، ولكنْ منْ أجلِ أنْ يأكلَ خوخاتٍ كثيرةً زرعَ تلكَ البذرةَ!

شجرة الخوخ ويوسف

مرتِ الأيامُ، والشهورُ، والسنواتُ.

الأشجارُ اخْضرَّتْ في الربيعِ، ثمَّ أثمرتْ في الصيفِ، ثمَّ اصْفرَّتْ في الخريفِ، ثمَّ يبستْ في الشتاءِ.

نبتتْ بذرةُ الخوخِ التي زرعها يوسفُ، وطلعتْ منَ الترابِ.

طالتِ النبتةُ، ومدَّتْ فروعاً وأغصاناً.

ونجحَ يوسفُ من المرحلةِ الابتدائيَّةِ، فانتقَلَ إلى المرحلةِ المتوسطةِ (الإعداديَّةِ).وأثمرتْ شجرتُهُ في تلكَ السنةِ أيضاً!، فأكلَ يوسفُ الخوخَ بشهيةٍ ، وقالَ:

كان أبي مُحِقَّاً في قولِهِ!!

كان يوسفُ قد ذهبَ إلى مدرسةٍ دينيةٍ.

يوماً من الأيامِ قالَ معلمُهُ:

إنَّ القدرةَ التي تُخْفِي في بذرةٍ خطةَ تكونِ آلافِ الثمارِ، ثم آلافِ الأشجارِ، وآلافِ الثمارِ، وآلافِ الأشجارِ...! فالذي يؤمن بذلكَ السببِ الأولِ ينالُ شرفَ الإنسانيةِ!!.

تذكرَ يوسفُ كلامَ أبيهِ، وتذكرَ شجرتَهُ هوَا! فأحسَّ قلبُهُ بسعادةٍ كبيرةٍ!.

جرتِ الأشهرُ خلفَ السنينَ، ومرتِ الأعوامُ.

وتفرعتْ تلكَ الشجرةُ فروعاً كثيرةً، وأعطتْ ثماراً وفيرةً.

يوسفُ أمضى حياتَهُ معها.

الشجرة ويوسف والطائر

صار يوسفُ أخاً كبيراً،

ثم أباً،

وعماً،

ثم صارَ يوسفُ جداً.

وشجرتهُ هرِمَتْ، ولم تَعُدْ تعطي خوخاً، وتفرقتِ الطيورُ عنها!

كان طائرٌ قد اعتاد أن يسكن تلكَ الشجرةَ، فكان يبني عُشّاً في أعلاها.

فرَّخَ الطائرُ في العشِّ مراتٍ، وربّى فراخَهُ حتى طارتْ!

كبِرَ أولادُ الجدِّ يوسفَ أيضاً، وتزوجوا، وصار لكلٍّ منهمْ بيتٌ مستقلٌ.

يا مسبب الأسباب..يا الله

في يومٍ من الأيامِ كان الجوُّ معتدلاً،

ألقى الجد يوسف بساطاً فوقَ الرصيفِ الذي كان يجلسُ عليه في صغرهِ، وينتظرُ والدَهُ، ويقرأُ جزءَ الألفِ باءْ.

جلس الجدُّ يوسفُ على البساطِ يذكرُ اللهَ ويسبحهُ!!

وكان قلبهُ يقولُ: يا ربِّ! يا مسببَ الأسباب!

الطائرُ الذي كان يبني عشاً على الشجرةِ بدأ يغردُ أيضاً!!

وكانَ القطُّ ينامُ فوقَ بساطِ الجدِّ يوسفَ.

شوهدتْ سيارةٌ في الطرفِ الآخرِ من الشارعِ مقبلة نحو الجدِ يوسفَ، وكانتْ سيارةٌ شاحنةٌ تسيرُ خلفها تماماً!

وفي الزاويةِ كان الشرطيُ يراقبُ الطريقَ. وجاءَ ساعي البريدِ، وسلَّم رسالةً إلى الجد يوسف.

استيقظَ القطُّ على صوتِ الطائرِ الذي كان يغردُ لذكرياته، وبدأ يتسلقُ الشجرةَ! فرآه الكلبُ النائم أمامَ البابِ، فهجمَ للإمساكِ بالقطِ!

كان ساعي البريدِ الذي سلَّمَ الرسالةَ إلى الجدِ يوسفَ يتوجهُ في تلكَ اللحظةِ إلى البابِ المقابلِ!.

فتحَ الجد يوسف الرسالةَ وقرأ خبرَ وفاةٍ، وقالَ بصوتٍ خافتٍ:

إنا لله وإنا إليهِ راجعونَ. وتابعَ يقول: هو الذي يعطِيْ، وهو الذي يأخذُ..!

حينئذٍ كان ساعي البريدِ قد خَافَ من الكلبِ فوقعَ وهو يحاولُ الهربَ، وانتثرتْ رسائلُهُ..!!

كادتِ السيارةُ القادمةُ أن تدهسه تحتَ عجلاتِها، فكبحَ السائقُ السيارةَ كبحاً مزعجاً!! لكنَّ الشاحنةَ التي خلفها صدمتْها!

ساعي البريدِ لم يصبْهُ أذى! ولكنْ جُرِحَ اثْنانِ منَ المسافرينَ كانا يجلسانِ في آخرِ السيارةِ.

أطلقَ الشرطيُّ الواقف في الزاويةِ صفارتَهُ بشدةٍ: تُوْتْ.. تُوْتْ!!

وقال لسائقِ الشاحنةِ:

- انزلْ.. هيَّا انزلْ منَ السيارةِ.. أنت المخطئُ.. أنتَ تسببْتَ في الحادثةِ!!

وأخذَ السائقَ معهُ.

رأى الجدُّ يوسفُ هذا كلَّهُ! رفَع بصرَهُ ونظرَ إلى الشجرةِ!

رجعَ إلى نفسهِ وتذكَّرَ طفولتَهُ!

تذكَّرَ بذرةَ الخوخِ! وقالَ:

قَدَرٌ مكتوبٌ، ومختبئٌ في بذرةٍ!

وتفكَّر بالأجلِ! والسببِ الأولِ!، وهمسَ في خشوعٍ:

يا مُسَبِّبَ الأسبابِ! يا اللَّهُ!!.